بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد مختارة

من كتاب

منهاج السنة النبوية

لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ)

بقلم

سليمان بن محمد اللهيميد

السعودية – رفحاء

الموقع على النت – مجلة رياض المتقين

www.almotaqeen.net

١- وهذا كان مقصود أول من أظهر بدعة التشيع ، فإنما كان قصده الصد عن سبيل الله وإبطال ما جاءت به الرسل عن الله . ١٨/١

٢- قال الله تعالى (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى) فنزه الله رسوله عن الضلال والغي ، والضلال عدم العلم ، والغي اتباع الهوى . ١٨/١

٣- ولهذا أمرنا الله أن نقول في صلاتنا (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ) فالضال الذي لم يعرف الحق كالنصارى ، والمغضوب عليهم الغاوي الذي يعرف الحق ويعمل بخلافه كاليهود ، والصراط المستقيم يتضمن معرفة الحق والعمل به كما في الدعاء المأثور : اللهم أرني الحق حقاً ووفقني لاتباعه ، وأرني الباطل باطلاً ووفقني لاجتنابه ولا تجعله مشتبهاً عليّ فاتبع الهوى . ١٩/١

٤- فمن خرج عن الصراط المستقيم كان متبعاً لظنه وما تهواه نفسه ، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين . ٢٠/١

٥- ومن أعظم خبث القلوب أن يكون في قلب العبد غل لخيار المؤمنين وسادات أولياء الله بعد النبيين . ٢٢/١

٦- من حماقاتهم (أي الشيعة) فكثيرة جداً : مثل كون بعضهم لا يشرب من نهر حفره يزيد مع أن النبي ﷺ والذين معه كانوا يشربون من آبار وأنهار حفرها الكفار .

ومثل كونهم يكرهون التكلم بلفظ العشرة أو فعل شيء يكون عشرة حتى في البناء لا يبنون على عشرة أعمدة ، لكونهم يبغضون خيار الصحابة وهم العشرة المشهود لهم بالجنة ، ومعلوم أنه لو فرض في العالم عشرة من أكفر الناس لم يجب هجر هذا الاسم .

وكذلك هجرهم لاسم أبي بكر وعمر وعثمان ولمن يتسمى بذلك ، حتى إنهم يكرهون معاملته ، ومعلوم أن هؤلاء لو كانوا من أكفر الناس لم يشرع أن لا يتسمى الرجل بمثل أسمائهم .

ومن حماقاتهم أيضاً : أنهم يجعلون للمنتظر عدة مشاهد ينتظرونه فيها ، كالسرداب الذي بسامرا الذي يزعمون أنه غاب فيه ومشاهد أخر ، وقد يقيمون هناك دابة – إما بغلة وإما فرساً وإما غير ذلك – ليركبها إذا خرج .

ومن حماقاتهم : تمثيلهم لمن يبغضونه بالجماد أو حيوان ، ثم يفعلون بذلك الجماد والحيوان ما يرونه عقوبة لمن يبغضونه ، مثل اتخاذهم نعجة – وقد تكون نعجة حمراء لكون عائشة تسمى الحميراء – يجعلونها عائشة ويعذبونها بنتف شعرها وغير ذلك ، ويرون أن ذلك عقوبة لعائشة ، ومثل اتخاذهم حلساً مملوءاً سمناً ثم يبعجون بطنه فيخرج السمن فيشربونه ، ويقولون : هذا مثل ضرب عمر وشرب دمه .

ومن حماقاتهم : إقامة المأتم والنياحة على من قد قتل من سنين عديدة . ٣٨/١-٥٢

٧- وقد اتفق أهل العلم بالنقل والرواية والإسناد على أن الرافضة أكذب الطوائف ، والكذب فيهم قديم . ٥٩/١

٨- وأما الرافضة فأصل بدعتهم عن زندقة وإلحاد ، وتعمد الكذب كثير فيهم ، وهم يقرون بذلك حيث يقولون : ديننا التقية ، وهو أن يقول أحدهم بلسانه خلاف ما في قلبه ، وهذا هو الكذب والنفاق . ٦٨/١

٩- لكن لفظ الأبدال ، تكلم به بعض السلف ، ويُروى فيه عن النبي ﷺ حديث ضعيف . ٩٤/١

١٠- الصواب الذي عليه محققو العلماء أن إلياس والخضر ماتا . ٩٦/١

١١- والرسل إنما أخبرت بالحق ، والله فطر عباده على معرفة الحق ، والرسل بعثت بتكميل الفطرة لا بتغيير الفطرة . ٣٠٠/١

١٢- ثم إنه في أواخر عصر الصحابة حدثت بدعة القدرية والمرجئة ، فأنكر ذلك الصحابة والتابعون كعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وجابر وواثلة بن الأسقع ، ثم إنه في أواخر عصر التابعين – من أوائل المائة الثانية– حدثت بدعة الجهمية منكرة الصفات ، وكان أول من أظهر ذلك الجعد بن درهم ، فطلبه خالد بن عبد الله القسري فضحى به بواسط . ٣٠٩/١

١٣- فالدين الحق لابد فيه من الكتاب الهادي والسيف الناصر ، كما قال تعالى (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ) فالكتاب يبين ما أمر الله به وما نهى عنه ، والسيف ينصر ذلك ويؤيده . ١/ ٥٣٢

١٤- وكل من تولى كان خيراً من المعدوم المنتظر الذي تقول الرافضة إنه الخلف الحجة ، فإن هذا لم يحصل بإمامته شيء من المصلحة لا في الدنيا ولا في الدين أصلاً ، فلا فائدة في إمامته إلا الاعتقادات الفاسدة والأماني الكاذبة والفتن بين الأمة وانتظار من لا يجيء ، فتطوى الأعمار ولم يحصل من فائدة هذه الإمامة شيء ، والناس لا يمكنهم بقاء أيام قليلة بلا ولاة أمور بل كانت تفسد أمورهم ، فكيف تصلح أمورهم إذا لم يكن لهم إمام إلا من لا يعرف ولا يدري ما يقول ولا يقدر على شيء من أمور الإمامة بل هو معدوم . ٥٤٨/١

١٥- ولهذا كانت الرافضة من أجهل الناس وأضلهم ، كما أن النصارى من أجهل الناس ، والرافضة من أخبث الناس ، كما أن اليهود من أخبث الناس ، ففيهم نوع من ضلال النصارى ونوع من خبث اليهود . ٦٥/٢

١٦- وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال : (سيكون في ثقيف كذاب ومبير) فكان الكذاب هو المختار بن أبي عبيد وكان المبير هو الحجاج بن يوسف الثقفي . ٦٩/٢ ، ٧٠

١٧- ولهذا لا يوجد في أئمة الفقه الذين يرجع إليهم رافضي ولا في أئمة الحديث ولا في أئمة الزهد والعبادة ولا في الجيوش المؤيدة المنصورة جيش رافضي ولا في الملوك الذين نصروا الإسلام وأقاموه وجاهدوا عدوه من هو رافضي ولا في الوزراء الذين لهم سيرة محمودة من هو رافضي ، وأكثر ما تجد الرافضة إما في الزنادقة المنافقين الملحدين ، وإما في جُهَّال ليس لهم علم لا بالمنقولات ولا بالمعقولات . ٨٠/٢

١٨- ولهذا احتج الإمام أحمد رضي الله عنه وغيره على أن كلام الله غير مخلوق بقول النبي ﷺ (أعوذ بكلمات الله تعالى التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر) قالوا : لا يستعاذ بمخلوق . وكذلك ثبت عنه أنه قال : (اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك، لا أحصي ثناء عليك) وقالوا لا يستعاذ بمخلوق . ٣٧٤/٢ ، ٣٧٥

١٩- قد اتفق المسلمون على أنهم [أي الرسل] معصومون فيما يبلغونه عن الله فلا يجوز أن يقرهم على الخطأ في شيء مما يبلغونه عنه ، وبهذا يحصل المقصود من البعثة . ٣٩٦/٢

٢٠- ومن اعتقد أن كل من لم يكفر ولم يذنب أفضل من كل من آمن بعد كفره وتاب بعد ذنبه فهو مخالف لما علم بالاضطرار من دين الإسلام ، فإنه من المعلوم أن الصحابة الذين آمنوا برسول الله ﷺ بعد كفرهم ، وهداهم الله به بعد ضلالهم ، وتابوا إلى الله بعد ذنوبهم ، أفضل من أولادهم الذين ولدوا على الإسلام . ٣٩٨/٢

٢١- والذنوب إنما تضر أصحابها إذا لم يتوبوا منها . ٤٠٠/٢

٢٢- والغنى عن الحاجة من خصائص الربوبية ، فأما العبد فكماله في حاجته إلى ربه وعبوديته وفقره وفاقته ، فكلما كانت عبوديته أكمل كان أفضل ، وصدور ما يحوجه إلى التوبة والاستغفار مما يزيده عبودية وفقراً وتواضعاً . ٤٠٧/٢

٢٣- وهو سبحانه وله – الحمد – لم يذكر عن نبي من الأنبياء ذنباً إلا ذكر معه توبته لينزهه عن النقص والعيب ، ويبين أنه ارتفعت منزلته وعظمت درجته وعظمت حسناته وقرَّبه إليه بما أنعم الله عليه من التوبة والاستغفار والأعمال الصالحة التي فعلها بعد ذلك ، وليكون ذلك أسوة لمن يتبع الأنبياء ويقتدي بهم إلى يوم القيامة . ٤١١/٢

٢٤- فيوسف عليه السلام لما هم ترك همه لله ، فكتب الله به حسنة كاملة ولم يكتب عليه سيئة قط ، بخلاف امرأة العزيز فإنها همت وقالت وفعلت ، فراودته بفعلها ، وكذبت عليه عند سيدها ، واستعانت بالنسوة ، وحبسته لما اعتصم وامتنع عن الموافقة على الذنب ، ولهذا قالت (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ) وهذا من قولها كما دل عليه القرآن ، ليس من كلام يوسف عليه السلام ، بل لما قالت هذا كان يوسف غائباً في السجن لم يحضر عند الملك . ٤١٢/٢

٢٥- والإنسان ينتقل من نقص إلى كمال ، فلا ينظر إلى نقص البداية ، ولكن ينظر إلى كمال النهاية ، فلا يُعاب الإنسان بكونه كان نطفة ثم صار علقة ثم صار مضغة ، إذا كان الله بعد ذلك خلقه في أحسن تقويم ، ومن نظر إلى ما كان فهو من جنس إبليس الذي قال (أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) . ٤٣٠/٢

٢٦- وإذا ابتلى العبد بالذنب ، وقد علم أنه سيتوب منه ويتجنبه ، ففي ذلك من حكمة الله ورحمته بعبده أن ذلك يزيده عبودية وتواضعاً وخشوعاً وذلاً ورغبة في كثرة الأعمال الصالحة ونفرة قوية عن السيئات ، فإن النبي ﷺ قال (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين) .

وذلك أيضاً يدفع عنه العُجب والخيلاء ونحو ذلك مما يعرض للإنسان ، وهو أيضاً يوجب الرحمة لخلق الله ورجاء التوبة والرحمة لهم إذا أذنبوا وترغيبهم في التوبة .

وهو أيضاً يبين من فضل الله وإحسانه وكرمه ما لا يحصل بدون ذلك ، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال (لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم) .

وهو أيضاً يبين قوة حاجة العبد إلى الاستعانة بالله والتوكل عليه واللجأ إليه في أن يستعمله في طاعته ويجنبه معصيته ، وأنه لا يملك ذلك إلا بفضل الله عليه وإعانته له ، فإن من ذاق مرارة الابتلاء وعجزه عن دفعه إلا بفضل الله ورحمته ، كان شهود قلبه وفقره إلى ربه واحتياجه إليه في أن يعينه على طاعته ويجنبه معصيته أعظم ممن لم يكن كذلك . ولهذا قال بعضهم كان داود عليه السلام بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة. وقال بعضهم لو لم تكن التوبة أحب الأشياء إليه لما ابتلى بالذنب أكرم الخلق عليه.

ولهذا تجد التائب الصادق أثبت على الطاعة وأرغب فيها وأشد حذرا من الذنب من كثير من الذين لم يبتلوا بذنب .

وقد تكون التوبة موجبة له من الحسنات ما لا يحصل لمن يكن مثله تائباً من الذنب ، كما في الصحيحين من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه وهو أحد الثلاثة الذين أنزل الله فيهم (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) ثم قال (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) ، وإذا ذكر حديث كعب في قضية تبين أن الله رفع درجته بالتوبة . ٤٣١/٢-٤٣٣

٢٧- وزيارة القبور على وجهين : زيارة أهل التوحيد المتبعين للرسل ، وزيارة أهل البدع والشرك .

فالأولى : مقصودها أن يُسَلَّم على الميت ويُدعى له ، وزيارة قبره بمنزلة الصلاة عليه إذا مات ، يقصد بها الدعاء له ، والله سبحانه يثيب هذا الداعي له عند قبره ، كما يثيب الداعي إذا صلى عليه وهو على سريره .

والثانية : مقصودها أن يطلب منه الحوائج ، أو يقسم على الله ، أو يظن أن دعاء الله عند قبره أقرب إلى الإجابة ، فهذا كله من البدع المنكرة باتفاق أئمة المسلمين . ٤٣٨/٢

٢٨- والسبب الذي من أجله نُهي عن الصلاة في المقبرة في أصح قولي العلماء هو سد ذريعة الشرك ، كما نُهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها فإنها تطلع بين قرنَيْ شيطان ، والمشركون يسجدون لها حينئذ ، فنهي عن قصد الصلاة في هذا الوقت لما في ذلك من المشابهة لهم في الصورة وإن اختلف القصد . ٤٣٩/٢

٢٩- والأحاديث المأثورة عن النبي ﷺ في زيارة قبره ، كلها ضعيفة بل موضوعة . ٤٤١/٢

٣٠- والعبادات تتضمن كمال الحب والخضوع فمن أحب شيئاً من المخلوقات كما يحب الخالق فهو مشرك ، قال الله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله) . ٤٤٨/٢

٣١- وفي الجملة : فمن جرَّب الرافضة في كتابهم وخطابهم علم أنهم من أكذب خلق الله . ٣ / ٤٦٧

٣٢- ويقولون : الاحتجاج بالقدر على الذنوب مما يُعلم بطلانه بضرورة العقل ، فإن الظالم لغيره لو احتج بالقدر لاحتج ظالمه بالقدر أيضاً فإن كان القدر حجة لهذا فهو حجة لهذا وإلا فلا ، ولو كان القدر حجة لفاعل الفواحش والمظالم لم يحسن أن يلوم أحدٌ أحداً ، ولا يعاقب أحدٌ أحداً ، فكان للإنسان أن يفعل في دم غيره وماله وأهله ما يشتهيه من المظالم والقبائح ، ويحتج بأن ذلك مقدراً عليه . ٢٣/٢

٣٣- ومن الناس من يظن أن احتجاج آدم على موسى بالقدر كان من هذا الباب وهذا جهل عظيم فإن الأنبياء من أعظم الناس أمراً بما أمر الله به ونهيا عما نهى الله عنه وذماً لمن ذمه الله وإنما بعثوا بالأمر بالطاعة لله والنهي عن معصية الله فكيف يسوغ أحد منهم أن يعصي عاص لله محتجاً بالقدر ولأن آدم عليه السلام كان قد تاب من الذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ولأنه لو كان القدر حجة لكان حجة لإبليس وفرعون وسائر الكفار ولكن كان ملام موسى لآدم عليهما السلام لأجل المصيبة التي لحقتهم بسبب أكله ولهذا قال له لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ . ٢٥/٣

٣٤- المؤمن مأمور أن يرجع إلى القدر عند المصائب لا عند الذنوب والمعاصي ، فيصبر على المصائب ويستغفر من الذنوب كما قال تعالى (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ). وقال تعالى (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا) الآية . وقال (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ) قال ابن مسعود: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم ، ولهذا قال غير واحد من السلف والصحابة والتابعين لهم بإحسان: لا يبلغ الرجل حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه . ٢٦/٣

٣٥- فالإيمان بالقدر والرضا بما قدره الله من المصائب والتسليم لذلك هو من حقيقة الإيمان ، وأما الذنوب فليس لأحد أن يحتج فيها بقدر الله تعالى ؛ بل عليه أن لا يفعلها وإذا فعلها فعليه أن يتوب منها كما فعل آدم . ٢٦/٣

٣٦- ومن المعلوم ما لو علمه كثير من الناس لضرهم علمه ، ونعوذ بالله من علم لا ينفع . وليس اطلاع كثير من الناس بل أكثرهم على حكم الله في كل شيء نافعاً لهم بل قد يكون ضاراً . قال تعالى (لا تَسْأَلوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ) . ٣٩/٣

٣٧- كما أن الروافض شر من الخوارج في الاعتقاد ولكن الخوارج أجرأ على السيف والقتال منهم ، فالإظهار القول ومقاتلة المسلمين عليه جاء فيهم ما لم يجيء فيمن هم من جنس المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم . ٨٢/٣

٣٨- والله تعالى وإن كان خالقاً لكل شيء فإنه خلق الخير والشر لما له في ذلك من الحكمة التي باعتبارها كان فعله حسناً متقناً ، كما قال (الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين) . وقال (صنع الله الذي أتقن كل شيء) .فلهذا لا يضاف إليه الشر مفرداً ، بل إما أن يدخل في العموم ، وإما أن يضاف إلى السبب ، وإما أن يحذف فاعله .

فالأول : كقول الله تعالى (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) .

والثاني : كقوله (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ . مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ) .

والثالث : كقوله فيما حكاه عن الجن (وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً) . ٣ / ١٤٢

٣٩- وهذا لأن الله محسن عدل كل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل . ١٤٨/٣

٤٠- وليس على العباد أن يعلموا تفصيل حكمة الله تعالى ، بل يكفيهم العلم العام والإيمان التام . ١٩١/٣

٤١- وقد تنازع الناس في الرضا بالفقر والمرض والذل ونحوها هل هو مستحب أو واجب ؟ على قولين في مذهب أحمد وغيره . وأكثر العلماء على أن الرضا بذلك مستحب وليس بواجب ، لأن الله أثنى على أهل الرضا بقوله (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْه) وإنما أوجب الله الصبر ، فإنه أمر به في غير آية ، ولم يأمر بالرضا بالمقدور ؛ ولكن أمر بالرضا بالمشروع .

فالمأمور به يجب الرضا به كما في قوله تعالى (وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ) .

والقول الثاني : إنه واجب ، لأن ذلك من تمام رضاه بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبياً ، ولما روي (من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلوائي فليتخذ رباً سوائي) لكن هذا لا تقوم به الحجة ، لأن هذا لا يعرف ثبوته عن الله عز وجل . ٢٠٤/٣

٤٢- والعبادة تجمع غاية الحب وغاية الذل . ٢٩٠/٣

٤٣- فهل يوجد أضل من قوم يعادون السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، ويوالون الكفار والمنافقين . ٣٧٤/٣

٤٤- وكذلك إذا كان اليهود دولة بالعراق وغيره تكون الرافضة من أعظم أعوانهم ، فهم دائماً يوالون الكفار من المشركين واليهود والنصارى ، ويعاونونهم على قتال المسلمين ومعاداتهم . ٣٧٨/٣

٤٥- ولهذا كان المشهور من مذهب أهل السنة ، أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف وإن كان فيهم ظلم ، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي ﷺ ، لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة ، فلا يدفع أعظم الفسادَيْن بالتزام أدناهما . ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته . ٣٩١/٣

٤٦- وتنازعوا في أيهما أشد تحريما : الشطرنج أو النرد ؟ فقال مالك : الشطرنج أشد من النرد ، وهذا منقول عن ابن عمر ، وهذا لأنها تشغل القلب بالفكر الذي يصد عن ذكر الله وعن الصلاة أكثر من النرد .

وقال أبو حنيفة وأحمد : النرد أشد ، فإن العوض يدخل فيها أكثر .

وأما الشافعي فلم يقل إن الشطرنج حلال ، ولكن قال: النرد حرام والشطرنج دونها ، ولا يتبين لي أنها حرام ، فتوقف في التحريم . ولأصحابه في تحريمها قولان . فإن كان التحليل هو الراجح فلا ضرر ، وإن كان التحريم هو الراجح فهو قول جمهور أهل السنة ، فعلى التقديرين لا يخرج الحق عنهم . ٤٣٨/٣

٤٧- فإنهم – أي الأئمة الأربعة – متفقون على تحريم المعازف التي هي آلات اللهو ، كالعود ونحوه ، ولو أتلفها متلف عندهم لم يضمن صورة التالف ، بل يحرم عندهم اتخاذها . ٤٣٩/٣

٤٨- ولكن هذا حال الرافضة : دائماً يعادون أولياء الله المتقين من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، ويوالون الكفار والمنافقين . ٤٥٠/٣

٤٩- حتى قيل : إنه ما اقتتل يهودي ومسلم ، ولا نصراني ومسلم ، ولا مشرك ومسلم إلا كان الرافضي مع اليهودي والنصراني والمشرك . ٤٥٢/٣

٥٠- والنصيرية هم من غلاة الرافضة الذين يدعون إلهية علي، وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى باتفاق المسلمين . ٤٥٢/٣

٥١- وأما الرافضة فأصل بدعتهم عن نفاق ، ولهذا فيهم من الزندقة ما ليس في الخوارج . ٤٦٤/٣

٥٢- وقد تنازع العلماء : هل أزواجه من آله ؟ على قولين ، هما روايتان عن أحمد ، **أصحهما** أنهن من آله وأهل بيته ، كما دل على ذلك ما في الصحيحين من قوله : (اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته) وهذا مبسوط في موضع آخر ، وأما مواليهن فليسوا من أهل بيته بلا نزاع . ٢٤/٤

٥٣- فالمداومة على قيام جميع الليل ليس بمستحب ، بل هو مكروه بسنة النبي ﷺ الثابتة عنه . وهكذا مداومة صيام النهار فإن أفضل الصيام صيام داود عليه السلام صيام يوم ، وفطر يوم . ٣٠/٤-٣١

٥٤- أما حديث المؤاخاة فباطل موضوع ، فإن ﷺ لم يؤاخ أحداً ، ولا آخى بين المهاجرين بعضهم مع بعض ، ولا بين الأنصار بعضهم مع بعض ، ولكن آخى بين المهاجرين والأنصار ، كما آخى بين سعد بن الربيع وعبد الرحمن بن عوف ، وآخى بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء ، كما ثبت ذلك في الصحيح . ٣٢/٤-٣٣

٥٥- والذي عليه سائر العلماء المحققون أنه مات [أي الخضر] . ٩٣/٤

٥٦- والحديث الذي فيه (لا مهدي إلا عيسى بن مريم) رواه ابن ماجه ، وهو حديث ضعيف . ١٠١/٤-١٠٢

٥٧- والله يعلم أني مع كثرة بحثي وتطلعي إلى معرفة أقوال الناس ومذاهبهم ما علمت رجلاً له في الأمة لسان صدق يتهم بمذهب الإمامية ، فضلاً عن أن يقال : إنه يعتقده في الباطن . ١٣١/٤

٥٨- أبي بن خلف قتله النبي ﷺ بيده يوم أحد ، ولم يقتل النبي ﷺ بيده أحداً غيره ، وقال (إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة من قتل نبياً أو قتله نبي) . ١٤٢/٤-١٤٣

٥٩- أن يقال : المراد بهذا الإرث إرث العلم والنبوة ونحو ذلك لا إرث المال . وذلك لأنه قال (وورث سليمان داود) ومعلوم أن داود كان له أولاد كثيرون غير سليمان ، فلا يختص سليمان بماله .

وأيضاً فليس في كونه ورث ماله صفة مدح ، لا لداود ولا لسليمان ، فإن اليهودي والنصراني يرث أباه ماله ، والآية سيقت في بيان المدح لسليمان ، وما خصه الله به من النعمة .

وأيضاً فإرث المال هو من الأمور العادية المشتركة بين الناس ، كالأكل ، والشرب ، ودفن الميت ، ومثل هذا لا يُقصُّ على الأنبياء إذ لا فائدة فيه ، وإنما يقص ما فيه عبرة وفائدة تستفاد ، وإلا فقول القائل : مات فلان وورث ابنه ماله ، مثل قوله : ودفنوه ، ومثل قوله : أكلوا وشربوا وناموا ، ونحو ذلك مما لا يحسن أن يجعل من قصص القرآن .

وكذلك قوله عن زكريا (يرثني ويرث من آل يعقوب) ليس المراد به إرث المال ، لأنه لا يرث من آل يعقوب شيئاً من أموالهم بل إنما يرثهم ذلك أولادهم وسائر ورثتهم لو ورثوا ، ولأن النبي لا يطلب ولداً ليرث ماله ، فإنه لو كان يورث لم يكن بد من أن ينتقل المال إلى غيره : سواء كان ابناً أو غيره ، فلو كان مقصوده بالولد أن يرث ماله ، كان مقصوده أنه لا يرثه أحد غير الولد .

وهذا لا يقصده أعظم الناس بخلاً وشحاً على من ينتقل إليه المال .

وأيضاً فزكريا عليه السلام لم يُعرف له مال ، بل كان نجاراً . ويحيى ابنه عليه السلام كان من أزهد الناس . ٤/٢٢٤-٢٢٥

٦٠- ولهذا قال تعالى (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً) فإن الظالم يظلم فيبتلى الناس بفتنة تصيب من لم يظلم ، فيعجز عن ردها حينئذ ، بخلاف ما لو مُنع الظالم ابتداء ، فإنه كان يزول سبب الفتنة . ٤/٣٢٣

٦١- وقد قلنا غير مرة : إن الرجل الصالح المشهود له بالجنة قد يكون له سيئات يتوب منها ، أو تمحوها حسناته ، أو تكفَّر عنه بالمصائب ، أو بغير ذلك ، فإن المؤمن إذا أذنب كان لدفع عقوبة النار عنه عشرة أسباب : ثلاثة منه ، وثلاثة من الناس ، وأربعة يبتديها الله : التوبة ، والاستغفار ، والحسنات الماحية ، ودعاء المؤمنين له ، وإهداؤهم العمل الصالح له ، وشفاعة نبينا ﷺ والمصائب المكفرة في الدنيا ، وفي البرزخ ، وفي عرصات القيامة ، ومغفرة الله له بفضل رحمته . ٤ / ٣٢٥ .

٦٢- والكلام في الناس يجب أن يكون بعلم وعدل ، لا بجهل وظلم ، كحال أهل البدع . ٤/٣٣٧

٦٣- والفتنة إذا وقعت عجز العقلاء فيها عن دفع السفهاء ، فصار الأكابر } عاجزين عن إطفاء الفتنة وكف أهلها . وهذا شأن الفتن كما قال تعالى (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً) وإذا وقعت الفتنة لم يسلم من التلوث بها إلا من عصمه الله . ٤/٣٤٣

٦٤- ومن المعلوم أنه من أعظم أنواع الأذى للإنسان أن يكذب على امرأته رجل ويقول إنها بغي ويجعل الزوج زوج قحبة، فإن هذا من أعظم ما يشتم به الناس بعضهم بعضاً، حتى أنهم يقولون في المبالغة شتمه بالزاي والقاف مبالغة في شتمه. ٤/٣٤٦

٦٥- والرمي بالفاحشة – دون سائر المعاصي – جعل الله فيه حد القذف، لأن الأذى الذي يحصل به للمرمى لا يحصل مثله بغيره، فإنه لو رُمِيَ بالكفر أمكنه تكذيب الرامي بما يظهره من الإسلام ، بخلاف الرمي بالفاحشة ؛ فإنه لا يمكنه تكذيب المفترى بما يضاد ذلك ، فإن الفاحشة تخفى وتكتم مع تظاهر الإنسان بخلاف ذلك ، والله تعالى قد ذم من يحب إشاعتها في المؤمنين ، لما في إشاعتها من أذى الناس وظلمهم ، ولما في ذلك من إغراء النفوس بها ، لما فيها من التشبه والاقتداء ، فإذا رأى الإنسان أن غيره فعلها تشبّه به ، ففي القذف بها من الظلم والفواحش ما ليس في القذف بغيرها ، لأن النفوس تشتهيها ، بخلاف الكفر والقتل . ٤/٣٤٦

٦٦- وهؤلاء الرافضة يرمون أزواج الأنبياء : عائشة وامرأة نوح بالفاحشة ؛ فيؤذون نبينا ﷺ وغيره من الأنبياء من الأذى بما هو من جنس أذى المنافقين المكذّبين للرسل ، ثم ينكرون على طلحة والزبير أخذهما لعائشة معهما لما سافرا معها من مكة إلى البصرة ، ولم يكن في ذلك ريبة فاحشة بوجه من الوجوه . فهل هؤلاء إلا من أعظم الناس جهلاً وتناقضاً ؟ .

وأما أهل السنة فعندهم أنه ما بغت امرأة نبي قط ، وأن ابن نوح كان ابنه كما قال تعالى وهو أصدق القائلين (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ) وكما قال نوح (يَا بُنَيَّ ارْكَبْ) وقال (إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي) فالله ورسوله يقولان : إنه ابنه ، وهؤلاء الكذابون المفترون المؤذون للأنبياء يقولون: إنه ليس ابنه، والله تعالى لم يقل: إنه ليس ابنك، ولكن قال: (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ). ٤/٣٤٨

٦٧- وكل هذا مما يعلم بالاضطرار فساده من دين الإسلام ، وهو مما يبين أن الذي ابتدع مذهب الرافضة كان زنديقاً ملحداً عدواً لدين الإسلام وأهله ، ولم يكن من أهل البدع المتأولين كالخوارج والقدرية ، وإن كان قول الرافضة راج بعد ذلك على قوم فيهم إيمان لفرط جهلهم . ٤/٣٦٣

٦٨- إن الطلقاء هم مسلمة الفتح ، الذين أسلموا عام فتح مكة ، وأطلقهم النبي ﷺ وكانوا نحواً من ألفي رجل ، وفيهم من صار من خيار المسلمين ، كالحارث بن هشام ، وسهل بن عمرو ، وصفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبي جهل ، ويزيد بن أبي سفيان ، وحكيم بن حزام ، وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم النبي ﷺ الذي كان يهجوه ثم حسن أسلامه ، وعتاب بن

أسيد الذي ولاَّه النبي ﷺ مكة لما فتحها ، وغير هؤلاء ممن حَسُن إسلامه ، ومعاوية ممن حسن إسلامه باتفاق أهل العلم ، ولهذا ولاَّه عمر بن الخطاب ﷺ موضع أخيه يزيد بن أبي سفيان لما مات أخوه يزيد بالشام . ٤/٣٨١-٣٨٢

٦٩- والنصوص الثابتة عن النبي ﷺ تقتضي أن ترك القتال كان خيراً للطائفتين ، وأن القعود عن القتال كان خيراً من القيام فيه ، وأن علياً ، مع كونه أَوْلى بالحق من معاوية وأقرب إلى الحق عن معاوية ، لو ترك القتال لكان أفضل وأصلح وخيراً .

وأهل السنة يترحمون على الجميع ، ويستغفرون لهم ، كما أمرهم الله تعالى بقوله (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيم) . ٤/٣٨٩

٧٠- والسابقون الأولون أفضل من الذين أنفقوا من بعد الفتح وقاتلوا ، وهم على أصح القولين الذين بايعوا تحت الشجرة عام الحديبية ، وقيل من صلى إلى القبلتين وليس بشيء . ٤/٣٩٧

٧١- وذلك أن الفتن إنما يُعرف ما فيها من الشر إذا أدبرت . فأما إذا أقبلت فإنها تُزَيّن ، ويُظن أن فيها خيراً ، فإذا ذاق الناس ما فيها من الشر والمرارة والبلاء ، صار ذلك مبيناً لهم مضرتها ، وواعظاً لهم أن يعودوا في مثلها . كما أنشد بعضهم :

الحرب أول ما تكون فتية ... تسعى بزينتها لكل جهول

حتى إذا اشتعلت وشب ضرامها ... ولت عجوزاً غير ذات حليل

شمطاء ينكر لونها وتغيرت ... مكروهة للشم والتقبيل

والذين دخلوا في الفتنة من الطائفتين لم يعرفوا ما في القتال من الشر ، ولا عرفوا مرارة الفتنة حتى وقعت ، وصارت عبرة لهم ولغيرهم ، ومن استقرأ أحوال الفتن التي تجري بين المسلمين ، تبين له أنه ما دخل فيها أحد فحمد عاقبة دخوله ، لما يحصل له من الضرر في دينه ودنياه . ولهذا كانت من باب المنهي عنه ، والإمساك عنها من المأمور به ، الذي قال الله فيه (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) . ٤/٤٠٩-٤١٠

٧٢- والفتنة إذا ثارت عجز الحكماء عن إطفاء نارها . ٤/٤٦٧

٧٣- فإن الله تعالى بعث رسوله ﷺ بتحصيل المصالح وتكميلها ، وتعطيل المفاسد وتقليلها .....**وقل من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولد على فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير** ، كالذين خرجوا على يزيد بالمدينة ، وكابن الأشعث الذي خرج على عبد الملك بالعراق ، وكابن المهلب الذي خرج على ابنه بخراسان ، وكأبي مسلم صاحب الدعوة الذي خرج عليهم بخراسان أيضاً ، وكالذين خرجوا على المنصور بالمدينة والبصرة ، وأمثال هؤلاء . ٤ / ٥٢٧ .

٧٤- والإسلام جاء بالعلم النافع والعمل الصالح ، بمعرفة الحق وقصده . فيتفق أن بعض الولاة يظلم باستئثارٍ فلا تصبر النفوس على ظلمة ، ولا يمكنها دفع ظلمة إلا بما هو أعظم فساداً منه ، ولكن لأجل محبة الإنسان لأخذ حقه ودفع الظلم عنه ، لا ينظر في الفساد العام الذي يتولد عن فعله ، ولهذا قال النبي ﷺ (إنكم ستلقون بعدي أثرة فأصبروا حتى تلقوني على الحوض) .

وفي الصحيح من حديث أنس بن مالك وأسيد بن حضير { أن رجلاً من الأنصار قال : يا رسول الله ألا تستعملني كما استعملت فلاناً ؟ قال (ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض) . ٤/٥٣٨-٥٣٩

٧٥- ومما يتعلق بهذا الباب أن يُعلم أن الرجل العظيم في العلم والدين ، من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى يوم القيامة ، أهل البيت وغيرهم ، قد يحصل منه نوع من الاجتهاد مقروناً بالظن ، ونوع من الهوى الخفي ، فيحصل بسبب ذلك مالا ينبغي اتباعه فيه ، وإن كان من أولياء الله المتقين . ٤/٥٤٣

٧٦- ومعلوم أن من أعظم الناس كفراً القرامطة الباطنية ، الذين قتلوا الحُجَّاج ، وألقوهم في بئر زمزم ، وأخذوا الحجر الأسود وبقى عندهم مدة ، ثم أعادوه ، وجرى فيه عبرة حتى أعيد ، ومع هذا فلم يسلَّطوا على الكعبة بإهانة ، بل كانت معظَّمة مشرفة ، وهم كانوا من أكفر خلق الله تعالى . ٤ / ٥٧٦ .

٧٧- ولا ريب أن جهاد أبي بكر بماله ونفسه أعظم من جهاد علي وغيره ، كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح : (إن أمنّ الناس علينا في صحبته وذات يده أبو بكر) وقال (ما نفعني مال ما نفعني مال أبي بكر) .

وأبو بكر كان مجاهداً بلسانه ويده ، وهو أول من دعا إلى الله ، وأول من أوذي في الله بعد رسول الله ﷺ ، وأول من دافع عن رسول الله ﷺ ، وكان مشاركاً لرسول الله ﷺ في هجرته وجهاده حتى كان هو وحده معه في العريش يوم بدر ، وحتى أن أبا سفيان يوم أحد لم يسأل إلا عن النبي ﷺ وأبي بكر وعمر ، لما قال : أفيكم محمد ؟ فقال النبي ﷺ (لا تجيبوه) فقال : أفيكم ابن أبي قحافة؟ فقال النبي ﷺ (لا تجيبوه) فقال: أفيكم ابن الخطاب؟ فقال النبي ﷺ (لا تجيبوه) فقال : أما هؤلاء فقد كفيتموهم . فلم يملك عمر نفسه فقال : كذبت عدو الله ، إن الذين عددت لأحياء ، وقد أبقى الله لك ما يخزيك ، ذكره البخاري وغيره . ٢١-٢٠/٥

٧٨- أن النبي ﷺ لم يؤاخ علياً ولا غيره ، وحديث المؤاخاة لعلي ، ومؤاخاة أبي بكر لعمر من الأكاذيب . وإنما آخى بين المهاجرين والأنصار ، ولم يؤاخ بين مهاجري ومهاجري . ٧١/٥

٧٩- أن ما يُنقل عن الصحابة من المثالب فهو نوعان : أحدهما : ما هو كذب : إما كذب كله ، وإما محرّف قد دخله من الزيادة والنقصان ما يخرجه إلى الذم والطعن ، وأكثر المنقول من المطاعن الصريحة هو من هذا الباب يرويها الكذابون المعروفون بالكذب .

النوع الثاني ما هو صدق . وأكثر هذه الأمور لهم فيها معاذير تخرجها عن أن تكون ذنوباً ، وتجعلها من موارد الاجتهاد ، التي إن أصاب المجتهد فيها فله أجران وإن أخطأ فله أجر . وعامة المنقول الثابت عن الخلفاء الراشدين من هذا الباب ، وما قُدِّر من هذه الأمور ذنباً محققا فإن ذلك لا يقدح فيما علم من فضائلهم وسوابقهم وكونهم من أهل الجنة ، لأن الذنب المحقق يرتفع عقابه في الآخرة بأسباب متعددة . ٨٣-٨٢-٨١/٥

٨٠- وقال تعالى (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْماً وَلا هَضْماً) قال المفسرون : الظلم أن يحمل عليه سيئات غيره ، والهظم أن ينقص من حسناته . ١٠٣/٥

٨١- وعمر بن عبد العزيز عُودي وأوذي على بعض ما أقامه من العدل ، وقيل : إنه سم على ذلك . ١١٣/٥

٨٢- فالجزاء يوم القيامة على ما في القلوب لا على مجرد الظواهر . ١٢٢/٥

٨٣- ولهذا ينهى عما شجر بين هؤلاء سواء كانوا من الصحابة أو ممن بعدهم ، فإذا تشاجر مسلمان في قضية ، ومضت ولا تعلق للناس بها ، ولا يعرفون حقيقتها ، كان كلامهم فيها كلاماً بلا علم ولا عدل يتضمن أذاهما بغير حق ، ولو عرفوا أنهما مذنبان أو مخطئان ، لكان ذكر ذلك من غير مصلحة راجحة من باب الغيبة المذمومة . ١٤٦/٥

٨٤- فهذا أمره بقتال الخوارج ، وهذا نهيه عن قتال الولاة الظلمة . وهذا مما يُستدل به على أنه ليس كل ظالم باغ يجوز قتاله .

ومن أسباب ذلك أن الظالم الذي يستأثر بالمال والولايات لا يُقاتل في العادة إلا لأجل الدنيا ، يقاتله الناس حتى يعطيهم المال والولايات ، وحتى لا يظلمهم ، فلم يكن أصل قتالهم ليكون الدين كله لله ، ولتكون كلمة الله هي العليا ، ولا كان قتالهم من جنس قتال المحاربين قطاع الطريق .

وبالجملة العادة المعروفة أن الخروج على ولاة الأمور يكون لطلب ما في أيديهم من المال والإمارة ، وهذا قتال على الدنيا . ١٥٢/٥

٨٥- فعُلم الفرق بين العام المطلق والخاص المعيّن ، وعُلم أن أهل الذنوب الذين يعترفون بذنوبهم أخف ضرراً على المسلمين من أمر أهل البدع الذين يبتدعون بدعة يستحلون بها عقوبة من يخالفهم . ١٥٤/٥

٨٦- وكذلك أكثر أهل الأهواء يبتدعون رأياً ، ويكفرون من خالفهم فيه ، وأهل السنة يتبعون الحق من ربهم الذي جاء به الرسول ، ولا يكفرون من خالفهم فيه ، بل هم أعلم بالحق وأرحم بالخلق ، كما وصف الله به المسلمين بقوله (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) قال أبو هريرة: كنتم خير الناس للناس، وأهل السنة نقاوة المسلمين، فهم خير الناس للناس . ١٥٨/٥

٨٧- فإن أهل السنة في الإسلام كأهل الإسلام في الملل . ١٦٦/٥

٨٨- وكل من سوى أهل السنة والحديث من الفرق فلا ينفرد عن أئمة الحديث بقول صحيح ، بل لا بد أن يكون معه من دين الإسلام ما هو حق وبسب ذلك وقعت الشبهة وإلا فالباطل المحض لا يشتبه على أحد ولهذا سمي أهل البدع أهل الشبهات وقيل فيهم إنهم يلبسون الحق بالباطل . ١٦٧/٥

٨٩- ودين الإسلام وسط بين الأطراف المتجاذبة . فالمسلمون وسط في التوحيد بين اليهود والنصارى ، فاليهود تصف الرب بصفات النقص التي يختص بها المخلوق ، ويشبهون الخالق بالمخلوق ، كما قالوا : إنه بخيل ، وإنه فقير ، وإنه لما خلق السموات والأرض تعب . وهو سبحانه الجواد الذي لا يبخل والغني الذي لا يحتاج إلى غيره ، والقادر الذي لا يمسه لغوب. والقدرة والإرادة والغنى عما سواه هي صفات الكمال التي تستلزم سائرها .

والنصارى يصفون المخلوق بصفات الخالق التي يختص بها ، ويشبهون المخلوق بالخالق ، حيث قالوا : إن الله هو المسيح بن مريم ، وإن الله ثالث ثلاثة . وقالوا المسيح ابن الله ، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم ، وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون .

فالمسلمون وحدوا الله ووصفوه بصفات الكمال ، ونزّهوه عن جميع صفات النقص ، ونزّهوه عن أن يماثله شيء من المخلوقات في شيء من الصفات ، فهو موصوف بصفات الكمال لا بصفات النقص ، وليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله .

وكذلك في النبوات ؛ فاليهود تقتل بعض الأنبياء ، تستكبر عن أتباعهم ، وتكذبهم وتتهمهم بالكبائر . والنصارى يجعلون من ليس بنبي ولا رسول نبياً ورسولاً ، كما يقولون في الحواريين : إنهم رسل ، بل يطيعون أحبارهم ورهبانهم كما تُطاع الأنبياء. فالنصارى تصدّق بالباطل ، واليهود تكذِّب بالحق . ٥ / ١٦٨ .

٩٠- فإنه ما ازداد مبتدع اجتهاداً إلا ازداد من الله تعالى بعداً . ١٧٠/٥

٩١- وكل من كان عن السنة أبعد ، كان انفراده بالأقوال والأفعال الباطلة أكثر ، وليس في الطوائف المنتسبين إلى السنة أبعد عن آثار رسول الله ﷺ من الرافضة . ١٧٣/٥

٩٢- والحسنات المقبوله تكفر السيئات ، ولهذا قال ﷺ في الحديث الصحيح (الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان ، كفارة لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر) ولو كفّر الجميع بالخمس لم يحتج إلى الجمعة ، لكن التكفير بالحسنات المقبولة . وغالب الناس لا يكتب له من الصلاة إلا بعضها ، فيكفر ذلك بقدره ، والباقي يحتاج إلى تكفير . ١٩٨/٥

٩٣- ولهذا ينبغي لمن يعاقب الناس على الذنوب أن يقصد بذلك الإحسان إليهم والرحمة لهم ، كما يقصد الوالد تأديب ولده ، وكما يقصد الطبيب معالجة المريض ؛ فإن النبي ﷺ قال (إنما أنا لكم بمنزلة الوالد) وقد قال تعالى (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) وفي قراءة أُبَيّ (وهو أب لهم) . ٥/٢٣٧-٢٣٨

٩٤- فمن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضاً ، ومن ممادح أهل العلم أنهم يخطِّئون ولا يكفِّرون . ٥/٢٥١

٩٥- ومن هنا تنشأ الفتن بين الناس ، قال الله تعالى (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ) فإذا لم يكن الدين كله لله وكانت فتنة ، وأصل الدين أن يكون الحب لله ، والبغض لله ، والموالاة لله ، والمعاداة لله ، والعبادة لله ، والاستعانة بالله ، والخوف من الله . ٥/٢٥٥

٩٦- فإن العبد مأمور بالتزام الصراط المستقيم في كل أموره ، وقد شرع الله تعالى أن نسأله ذلك في كل صلاة ، وهو أفضل الدعاء وأفرضه وأجمعه لكل خير ، وكل أحد محتاج إلى الدعاء به ، فلهذا أوجبه الله تعالى على العبد في كل صلاة . ٥/٢٨٠

٩٧- بل قد يستضر به من عرف الشبهة ولم يعرف فسادها . ٥/٢٨٣

٩٨- ويوسف الصديق ، وإن كان أجمل من غيره من الأنبياء ، وفي الصحيح (أنه أعطى شطر الحسن) فلم يكن بذلك أفضل من غيره ، بل غيره أفضل منه ، كإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى ومحمد ، صلوات الله عليهم أجمعين . ويوسف ، وإن كانت صورته أجمل ، فإن إيمان هؤلاء وأعمالهم كانت أفضل من إيمانه وعمله ، وهؤلاء أوذوا على نفس الإيمان والدعوة إلى الله ، فكان الذين عادوهم معادين لله ورسوله ، وكان صبرهم صبراً على توحيد الله وعبادته وطاعته ، وهكذا سائر قصص الأنبياء التي في القرآن .

ويوسف عليه السلام إنما آذاه إخوته لتقريب أبيه له ، حسداً على حظ من حظوظ الأنفس ، لا على دين . ولهذا كان صبره على التي راودته ، وحبس الذين حبسوه على ذلك ، أفضل له من صبره على أذى إخوته ، فإن هذا صبر على تقوى الله باختياره حتى لا يفعل المحرم ، وذلك صبر على أذى الغير الحاصل بغير اختياره . فهذا من جنس صبر المصاب على مصيبته ، وذاك من جنس صبر المؤمن على الذين يأمرونه بالمعاصي ويدعونه إليها ، فيصبر على طاعة الله وعن معصيته ، ويغلب هواه وشهوته ، وهذا أفضل .

فأما صبر إبراهيم وموسى وعيسى ونبينا صلوات الله وسلامه عليهم ، على أذى الكفار ، وعداوتهم على الإيمان بالله ورسوله، فذاك أفضل من هذا كله ، كما أن التوحيد والإيمان أفضل من مجرد ترك الزنا ، وكما أن تلك الطاعات أعظم ، فالصبر عليها وعلى معاداة أهلها أعظم .

وأيضا فهؤلاء كانوا يطلبون قتل من يؤمن وإهلاكه بكل طريق ، لا يحبون المؤمنين أصلاً ، بخلاف يوسف فإنه إنما ابتُلي بالحبس ، وكانت المرأة تحبه فلم تعاقبه بأكثر من ذلك ، وقوله تعالى (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ) سواء كان القصص مصدر قَصَّ يَقُصُّ قَصَصاً ، أو كان مفعولاً : أي أحسن المقصوص ، فذاك لا يختص بقصة يوسف ، بل قصة موسى أعظم منها قدراً وأحسن ، ولهذا كرر ذكرها في القرآن وبسطها. قال تعالى (فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ) ولهذا قال (بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ) وقد قرىء : (أحسن القِصص) بالكسرة ، ولا تختص بقصة يوسف ، بل كل ما قصه الله فهو أحسن القصص ، فهو أحسن مقصوص ، وقد قصه الله أحسن قصص . ٥/٣١٧-٣١٨-٣١٩

٩٩- وقال أبو عثمان النيسابوري : من أمَّر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة ، ومن أمَّر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة ، لأن الله تعالى يقول (وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا) وقال بعضهم : ما ترك أحد شيئاً من السنة إلا لكبر في نفسه .

وهو كما قالوا ؛ فإنه إذا لم يكن متبعاً للأمر الذي جاء به الرسول كان يعمل بإرادة نفسه ، فيكون متبعاً لهواه بغير هدى من الله ، وهذا عَيْش النفس ، وهو من الكِبْر . ٥ / ٣٣١ .

١٠٠- فقوله في الحديث الصحيح (فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه) يبين أن اللذة الحاصلة بالنظر إليه أعظم من كل لذة في الجنة . والإنسان في الدنيا يجد في قلبه بذكر الله وذكر محامده وآلائه وعبادته من اللذة ما لا يجده بشيء آخر . ٣٨٩/٥

١٠١- والحديث الذي يُروى (أحبوا الله لما يغذوكم به من نِعَمِه ، وأحبوني بحب الله ، وأحب أهل بيتي بحبي) إسناده ضعيف؛ فإن الله يُحِبُّ أن يُحَبَّ لذاته ، وإن كانت محبته واجبة لإحسانه . ٣٩٦/٥

١٠٢- وأما أبو بكر فلا يكاد يوجد نص يخالفه ، وكان هو الذي يفصل الأمور المشتبهة عليهم ، ولم يكن يُعرف منهم اختلاف على عهده . وعامة ما تنازعوا فيه من الأحكام كان بعد أبي بكر . ٥٠٨/٥

١٠٣- وما فعله أبو لؤلؤة كرامة في حق عمر ﷺ ، وهو أعظم مما فعله ابن ملجم بعلي ﷺ ، وما فعله قتلة الحسين ﷺ به . فإن أبا لؤلؤة كافر قتل عمر كما يقتل الكافر المؤمن . وهذه الشهادة أعظم من شهادة من يقتله مسلم ؛ فإن قتيل الكافر أعظم درجة من قتيل المسلمين . ٣١/٦

١٠٤- من المعلوم للخاص والعام أن عدل عمر ﷺ ملأ الأفاق، وصار يُضرب به المثل، كما قيل : سيرة العمرين، وأحدهما عمر بن الخطاب، والآخر قيل: إنه عمر بن عبد العزيز، وهو قول أحمد بن حنبل وغيره من أهل العلم والحديث. وقيل: هو أبو بكر وعمر، وهو قول أبي عبيدة وطائفة من أهل اللغة والنحو. ٥١/٦

١٠٥- وقد أفرد العلماء مناقب عمر؛ فإنه لا يعرف في سير الناس كسيرته . كذلك قال أبو المعالي الجويني ، قال : ما دار الفلك على شكله ، قالت عائشة : كان عمر أحوذيا نسيج وحده ، قد أعدّ للأمور أقرانها . وكانت تقول : زيّنوا مجالسكم بذكر عمر . وقال ابن مسعود : أفرس الناس ثلاثة : ابنة صاحب مدين إذ قالت : (يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين) . وخديجة في النبي ﷺ ، وأبو بكر حين استخلف عمر .

وكل هؤلاء العلماء الذين ذكرناهم يعلمون أن عدل عمر كان أتم من عدل من ولي بعده ، وعلمه كان أتم من علم من ولى بعده .

وأما التفاوت بين سيرة عمر وسيرة من ولي بعده فأمر قد عرفته العامة والخاصة ؛ فإنها أعمال ظاهرة، وسيرة بينة ، يظهر لعمر فيها من حسن النية ، وقصد العدل ، وعدم الغَرَض ، وقمع الهوى ، مالا يظهر من غيره ، ولهذا قال له النبي ﷺ (ما رآك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك) لأن الشيطان إنما يستطيل على الإنسان بهواه وعمر قمع هواه . ٥٤/٦

١٠٦- قال عمر ﷺ (لولا ثلاث لأحببت أن أكون قد لحقت بالله . لولا أن أسير في سبيل الله، أو أضع جبهتي في التراب ساجداً، أو أجالس قوماً يلتقطون طيب الكلام كما يُلتقط طيب الثمر) .

وكلام عمر ﷺ من أجمع الكلام وأكمله ، فإنه ملهم محدّث ، كل كلمة من كلامه تجمع علماً كثيراً . مثل هؤلاء الثلاث التي ذكرهن ؛ فإنه ذكر الصلاة والجهاد والعلم ، وهذه الثلاث هي أفضل الأعمال بإجماع الأمة . قال أحمد بن حنبل: أفضل ما تطوع به الإنسان الجهاد . وقال الشافعي: أفضل ما تطوع به الصلاة . وقال أبو حنيفة ومالك : العلم .

والتحقيق أن كلاً من الثلاثة لا بد له من الآخرَيْن ، وقد يكون هذا أفضل في حال ، وهذا أفضل في حال . كما كان النبي ﷺ وخلفاؤه يفعلون هذا وهذا وهذا ، كلٌّ في موضعه بحسب الحاجة والمصلحة . وعمر جمع الثلاث . ٦ / ٧٥

١٠٧- والناس متنازعون في المرأة إذا ظهر بها حمل ولم يكن لها زوج ولا سيد ولا ادّعت شبهة : هل ترجم ؟ فمذهب مالك وغيره من أهل المدينة والسلف : أنها تُرجم . وهو قول أحمد في إحدى الروايتين . ومذهب أبي حنيفة والشافعي : لا تُرجم، وهي الرواية الثانية عن أحمد . قالوا لأنها قد تكون مستكرهة على الوطء، أو موطوءة بشبهة ، أو حملت بغير وطء .

والقول الأول هو الثابت عن الخلفاء الراشدين . وقد ثبت في الصحيحين أن عمر بن الخطاب خطب الناس في آخر عمره ، وقال : الرجم في كتاب الله حقٌ على من زنى من الرجال والنساء ، إذا قامت البينة ، أو كان الحَبَل ، أو الاعتراف . فجعل الحبل دليلاً على ثبوت الزنا كالشهود . وهكذا هذه القضية . وكذلك اختلفوا في الشارب هل يحد إذا تقيأ أو وجدت منه الرائحة ؟ على قولين . والمعروف عن النبي ﷺ وخلفائه الراشدين أنهم كانوا يحدون بالرائحة وبالقيء . ٩٤/٦

١٠٨- وما يتمارى في كمال سيرة عمر وعلمه وعدله وفضله من له أدنى مُسكة من عقل وإنصاف ، ولا يطعن على أبي بكر وعمر إلا أحد رجلين : إما رجل منافق زنديق ملحد عدو للإسلام ، يتوصل بالطعن فيهما إلى الطعن في الرسول ودين الإسلام ، وهذا حال المعلِّم الأول للرافضة ، أول من ابتدع الرفض ، وحال أئمه الباطنية .

وإما جاهل مفرط في الجهل والهوى ، وهو الغالب على عامة الشيعة ، إذا كانوا مسلمين في الباطن . ٦ / ١١٥

١٠٩- وفي السنن عنه ﷺ أنه قال (اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر) .

ولهذا كان أحد قولَيْ العلماء ، وهو إحدى الروايتين عن أحمد ، أن قولهما إذا اتفقا حجة لا يجوز العدول عنها ، وهذا أظهر القولين . كما أن الأظهر أن اتفاق الخلفاء الأربعة أيضا حجة لا يجوز خلافها ، لأمر النبي ﷺ باتباع سنتهم . ١٣٨/٦

١١٠- ومما ينبغي أن يعلم أن الله تعالى بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الناس على غاية ما يمكن من الصلاح ، لا لرفع الفساد بالكليّة ، فإن هذا ممتنع في الطبيعة الإنسانية ، إذ لا بد فيها من فساد .

ولهذا قال تعالى (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ) ، ولهذا لم تكن أمة من الأمم إلا وفيها شر وفساد ، وأمثل الأمم قبلنا بنو إسرائيل ، وكان فيهم من الفساد والشر ما قد عُلم بعضه ، وأمتنا خير الأمم وأكرمها على الله ، وخيرها القرون الثلاثة ، وأفضلهم الصحابة . وفي أمتنا شر كثير ، لكنه أقل من شر بني إسرائيل ، وشر بني إسرائيل أقل من شر الكفار الذين لم يتبعوا نبيا كفرعون وقومه . وكل خير في بني إسرائيل ففي أمتنا خير منه . وكذلك أول هذه الأمة وآخرها ، فكل خير من المتأخرين ففي المتقدمين ما هو خير منه . وكل شر في المتقدمين ففي المتأخرين ما هو شر منه . وقد قال تعالى (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) . ٦ / ١٤٩

١١١- وهكذا عادة الناس ، يكون القوم متفقين إذا لم يكن بينهم ما يتنازعون عليه من جاه أو مال أو غير ذلك ، وإن كان لهم خصم كانوا جميعاً إلباً واحداً عليه ، فإذا صار الأمر إليهم تنازعوا واختلفوا . ٦ / ١٧٠

١١٢- القاعدة الكلية في هذا أن لا نعتقد أن أحداً معصوم بعد النبي ﷺ ، بل الخلفاء وغير الخلفاء يجوز عليهم الخطأ ، والذنوب التي تقع منهم قد يتوبون منها ، وقد تُكَفَّر عنهم بحسناتهم الكثيرة ، وقد يبتلون أيضاً بمصائب يكفر الله عنهم بها ، وقد يكفر عنهم بغير ذلك .

فكل ما ينقل عن عثمان غايته أن يكون ذنباً أو خطأً . وعثمان ﷺ قد حصلت له أسباب المغفرة من وجوه كثيرة :

منها : سابقته وإيمانه وجهاده وغير ذلك من طاعاته .

وقد ثبت أن النبي ﷺ شهد له ، بل بشره بالجنة على بلوى تصيبه .

ومنها : أنه تاب من عامة ما أنكروه عليه ، وأنه ابتُلي ببلاء عظيم ، فكفر الله به خطاياه ، وصبر حتى قتل شهيداً مظلوماً ، وهذا من أعظم ما يكفر الله به الخطايا . ٦ / ١٩٧

١١٣- فإن الذنوب مطلقاً من جميع المؤمنين وهي سبب العذاب ، لكن العقبة بها في الآخرة في جهنم تندفع بنحو عشرة أسباب :

السبب الأول : التوبة ، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، والتوبة مقبولة من جميع الذنوب : الكفر والفسوق والعصيان .

قال الله تعالى (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ) .

وقال تعالى (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ) .

السبب الثاني : الاستغفار .

فإن الاستغفار هو طلب المغفرة، وهو من جنس الدعاء والسؤال، وهو مقرون بالتوبة في الغالب ومأمور به .

السبب الثالث : الأعمال الصالحة .

فإن الله تعالى يقول (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) .

وقال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل يوصيه (يا معاذ اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن) .

وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان كفارات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر) .

السبب الرابع : الدعاء للمؤمنين .

السبب الخامس : دعاء النبي ﷺ واستغفاره في حياته وبعد مماته ، كشفاعته يوم القيامة .

السبب السادس : ما يُفعل بعد الموت من عمل صالح يُهدى إليه .

السبب السابع : المصائب الدنيوية التي يكفّر الله بها الخطايا .

السبب الثامن : ما يبتلى به المؤمن في قبره من الضغطة وفتنة الملكين .

السبب التاسع : ما يحصل له في الآخرة من كرب أهوال يوم القيامة .

السبب العاشر : ما ثبت في الصحيحين (أن المؤمنين إذا عبروا الصراط، وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض ، فإذا هُذّبوا ونُقّوا أُذنَ لهم في دخول الجنة) . ٦ / ٢٠٦ – ٢٣٨

١١٤- فإن الإنسان قد يقول : إذا كُفِّر عنى بالصلوات الخمس فأي شيء تكفر عني الجمعة أو رمضان ، وكذلك صوم يوم عرفة وعاشوراء ؟

بعض الناس يجيب عن هذا بأنه يكتب لهم درجات إذا لم تجد ما تكفره من السيئات ، فيقال أولا العمل الذي يمحو الله به الخطايا ويكفر به السيئات ، هو العمل المقبول والله تعالى (إنما يتقبل من المتقين) .

والناس لهم في هذه الآية وهي قوله تعالى (إنما يتقبل الله من المتقين) :ثلاثة أقوال ، طرفان ووسط :

فالخوارج والمعتزلة يقولون : لا يتقبل الله إلا ممن اتقى الكبائر ، وعندهم صاحب الكبيرة لا يقبل منه حسنة بحال .

والمرجئة يقولون : من اتقى الشرك .

والسلف والأئمة يقولون : لا يتقبل إلا ممن اتقاه في ذلك العمل ففعله كما أُمر به ، خالصاً لوجه الله تعالى . ٦/٢١٦

١١٥- والنوع الواحد من العمل قد يفعله الإنسان على وجه يكمل فيه إخلاصه وعبوديته لله ، فيغفر الله له به كبائر . كما في الترمذي وابن ماجه وغيرهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه قال : (يُصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق فينشر عليه تسعة وتسعون سجلاً ، كل سجل منها مد البصر ، فيقال : هل تنكر من هذا شيئاً ؟ فيقول : لا يا رب ،

فيقول : لا ظلم عليك ، فتخرج له بطاقة قدر الكف فيها شهادة أن لا إله إلا الله ، فيقول : أين تقع هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فتوضع هذه البطاقة في كفه ، والسجلات في كفة ، فثقلت البطاقة وطاشت السجلات) .

فهذه حال من قالها بإخلاص وصدق ، كما قالها هذا الشخص ، وإلا فأهل الكبائر الذين دخلوا النار كلهم كانوا يقولون : لا إله إلا الله ، ولم يترجح قولهم على سيئاتهم كما ترجّح قول صاحب البطاقة . ٢١٩/٦

١١٦- وفي الصحيحين (إن امرأة بغيا رأت كلباً في يوم حار يطيف ببئر قد أدلع لسانه من العطش فنزعت له موقها فسقته به فغفر لها) وفي لفظ في الصحيحين (أنها كانت بغياً من بغايا بني إسرائيل) .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (بينما رجل يمشي في طريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره فشكر الله له فغفر له) .

فهذه سقت الكلب بإيمان خالص كان في قلبها فغفر لها ، وإلا **فليس كل بغي سقت كلباً يغفر لها** .

وكذلك هذا الذي نحَّى غصن الشوك عن الطريق ، فعله إذ ذاك بإيمان خالص وإخلاص قائم بقلبه ، فغفر له بذلك . **فإن الأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص** ، وإن الرجلين ليكون مقامهما في الصف واحداً وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض ، **وليس كل من نحَّى غصن شوك عن الطريق يغفر له** . ٢٢١/٦

١١٧- والمقصود أن فضل الأعمال وثوابها ليس لمجرد صورها الظاهرة ، بل لحقائقها التي في القلوب ، والناس يتفاضلون في ذلك تفاضلاً عظيماً . ٦ / ٢٢٦

١١٨- فإنه كلما تأخر العصر عن النبوة كثر التفرق والخلاف . ٦ / ٢٣١

١١٩- وصاحب الهوى يقبل ما وافق هواه بلا حجة توجب صدقة ، ويرد ما خالف هواه بلا حجة توجب رده ، وليس في الطوائف أكثر تكذيباً بالصدق وتصديقاً بالكذب من الرافضة . ٦ / ٣٠٢

١٢٠- فكل من كان إلى متابعة الأنبياء أقرب ، كان الخلاف بينهم أقل . ٦ / ٣١١

١٢١- وأما الحرب التي كانت بين طلحة والزبير وبين علي ؛ فكان كل منهما يقاتل عن نفسه ظاناً أنه يدفع صول غيره عليه ، لم يكن لعلي غرض في قتالهم ولا لهم غرض في قتاله ، بل كانوا قبل قدوم علي يطلبون قَتَلَةَ عثمان ، وكان للقتلة من قبائلهم من يدفع عنهم فلم يتمكنوا منهم ، فلما قدم علي وعرّفوه مقصودهم ، عرّفهم أن هذا أيضاً رأيه ، لكن لا يتمكن حتى ينتظم الأمر ، فلما علم بعض القتلة ذلك ، حمل على أحد العسكرين ، فظن الآخرون أنهم بدأوا بالقتال ، فوقع القتال بقصد أهل الفتنة لا بقصد السابقين الأولين ، ثم وقع قتال على الملك ، فلم يكن ما وقع قدحاً في خلافة الثلاثة . ٣٣٩/٦

١٢٢- والبدع مشتقة من الكفر ، فما من قول مبتدع إلا وفيه شعبة من شعب الكفر . ٦ / ٣٦٨

١٢٣- ولهذا تجد الشيعة ينتصرون لأعداء الإسلام المرتدين كبني حنيفة أتباع مسيلمة الكذاب ، ويقولون : إنهم كانوا مظلومين ، كما ذكر صاحب هذا الكتاب، وينتصرون لأبي لؤلؤة الكافر المجوسي، ومنهم من يقول: اللهم أرض عن أبي لؤلؤة واحشرني معه . ومنهم من يقول في بعض ما يفعله من محاربتهم : واثارات أبي لؤلؤة ، كما يفعلونه في الصورة التي يقدّرون فيها صورة عمر من الجبس أو غيره .

وأبو لؤلؤة كافر باتفاق أهل الإسلام ، كان مجوسياً من عباد النيران ، وكان مملوكاً للمغيرة بن شعبة ، وكان يصنع الأرحاء ، وعليه خراج للمغيرة كل يوم أربعة دراهم ، وكان قد رأى ما عمله المسلمون بأهل الذمة ، وإذا رأى سبيهم يقدم إلى المدينة، يبقى في نفسه من ذلك .

وقد روى أنه طلب من عمر أن يكلم مولاه في خراجه فتوقف عمر ، وكان من نيته أن يكلمه ، فقتل عمر بُغضاً في الإسلام وأهله ، وحباً للمجوس ، وانتقاماً للكفار ، لما فعل بهم عمر حين فتح بلادهم وقتل رؤساءهم وقسم أموالهم ، كما أخبر النبي ﷺ عن ذلك . ٣٧٠/٦

١٢٤- وأمهات الفضائل : العلم والدين والشجاعة والكرم . ٦ / ٣٧٩

١٢٥- بل كل نعمة منه فضل، وكل نقمة منه عدل، وليس لمخلوق عليه حق إلا ما أحقه هو على نفسه المقدسة، كقوله (كتب ربكم على نفسه الرحمة) . ٣٩٧/٦

١٢٦- وأما الرافضي فلا يعاشر أحداً إلا استعمل معه النفاق ، فإن دينه الذي في قلبه دين فاسد يحمله على الكذب والخيانة وغش الناس وإرادة السوء بهم . ٤٢٥/٦

١٢٧- و أما ما نقله من تفسير الثعلبي ، فقد أجمع أهل العلم بالحديث أن الثعلبي يروي طائفة من الأحاديث الموضوعات ، كالحديث الذي يرويه في أول كل سورة عن أبي أمامة في فضل تلك السورة ، وكأمثال ذلك .

ولهذا يقولون : هو كحاطب ليل .

وهكذا الواحدي تلميذه ، وأمثالهما من المفسرين : ينقلون الصحيح و الضعيف .

ولهذا لما كان البغوي عالما بالحديث ، أعلم به من الثعلبي والواحدي ، وكان تفسيره مختصر تفسير الثعلبي ، لم يذكر في تفسيره شيئاً من الأحاديث الموضوعة التي يرويها الثعلبي ، ولا ذكر تفاسير أهل البدع التي ذكرها الثعلبي ، مع أن الثعلبي فيه خير ودين ، لكنه لا خبرة له بالصحيح والسقيم من الأحاديث ، ولا يميز بين السنة و البدعة في كثير من الأقوال . ١٢/٧

١٢٨- والإسناد من خصائص هذه الأمة ، وهو من خصائص الإسلام ، ثم هو في الإسلام من خصائص أهل السنة ، والرافضة من أقل الناس عناية ، إذ كانوا لا يصدّقون إلا بما يوافق أهواءهم ، وعلامة كذبه أنه يخالف هواهم .

و لهذا قال عبد الرحمن بن مهدي : أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم ، وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم . ٣٧/٧

١٢٩- وهكذا كثير ممن صنَّف في فضائل العبادات ، وفضائل الأوقات ، وغير ذلك : يذكرون أحاديث كثيرة وهي ضعيفة ، بل موضوعة باتفاق أهل العلم ، كما يذكرون أحاديث في فضل صوم رجب كلها ضعيفة ، بل موضوعة عند أهل العلم .

ويذكرون صلاة الرغائب في أول ليلة جمعة منه ، وألفية نصف شعبان ، وكما يذكرون في فضائل عاشوراء ما ورد من التوسعة على العيال ، وفضائل المصافحة والحناء والخضاب والاغتسال ونحو ذلك ، و يذكرون فيها صلاة .

وكل هذا كذب على رسول الله ﷺ لم يصح في عاشوراء إلا فضل صيامه . ٧ / ٣٨ .

١٣٠- وقد تنازع الناس في آل محمد : من هم ؟ فقيل : هم أمته . وهذا قول طائفة من أصحاب مالك وأحمد و غيرهم .

وقيل : المتقون من أمته . ورووا حديثاً (آل محمد كل مؤمن تقي) رواه الخلاّل و تمّام في الفوائد له ، وقد احتج به طائفة من أصحاب أحمد وغيرهم ، وهو حديث موضوع . وبنى على ذلك طائفة من الصوفية أن آل محمد هم خواصّ الأولياء ، كما ذكر الحكيم الترمذي .

والصحيح أن آل محمد هم أهل بيته ، وهذا هو المنقول عن الشافعي وأحمد ، وهو اختيار الشريف أبي جعفر وغيرهم . لكن هل أزواجه من أهل بيته ؟ على قولين ، هما روايتان عن أحمد : أحدهما : أنهن لسن من أهل البيت . ويُروى هذا عن زيد بن أرقم . والثاني : هو الصحيح أن أزواجه من آله .

فانه قد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه علّمهم الصلاة عليه (اللهم صل على محمد وأزواجه و ذريته) ولأن امرأة إبراهيم من آله وأهل بيته ، وامرأة لوط من آله و أهل بيته . ٧٥/٧-٧٦

١٣١- وليس من شرط المتقين ونحوهم أن لا يقع منهم ذنب ، ولا أن يكونوا معصومين من الخطأ والذنوب . فإن هذا لو كان كذلك لم يكن في الأمة متق ، بل من تاب من ذنوبه دخل في المتقين ، ومن فعل ما يكفّر سيئاته دخل في المتقين ، كما قال (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً) . ٨٢/٧

١٣٢- والأفضلية إنما تثبت بالخصائص لا بالمشتركات . يبين ذلك أنه لم ينقل أحد أن علياً أوذي في مبيته على فراش النبي ﷺ ، وقد أوذي غيره في وقايتهم النبي ﷺ : تارة بالضرب ، وتارة بالجرح ، وتارة بالقتل . فمن فداه و أُوذي أعظم ممن فداه ولم يؤذ .

وقد قال العلماء : ما صح لعلي من الفضائل فهي مشتركة ، شاركه فيها غيره ، بخلاف الصديق ، فان كثيراً من فضائله – وأكثرها – خصائص له ، لا يشركه فيها غيره . ١٢١/٧

١٣٣- وعامة علامات النفاق وأسبابه ليست في أحد من أصناف الأمة أظهر منها في الرافضة ، حتى يوجد فيهم من النفاق الغليظ الظاهر ما لا يوجد في غيرهم ، وشعار دينهم (التقية) التي هي أن يقول بلسانه ما ليس في قلبه ، وهذا علامة النفاق . ١٥١/٧

١٣٤- فالرافضة فيهم شبه من اليهود من وجه ، وشبه من النصارى من وجه ، ففيهم شرك وغلو وتصديق بالباطل كالنصارى ، وفيهم جبن وكبر وحسد وتكذيب بالحق كاليهود .

وهكذا غير الرافضة من أهل الأهواء والبدع ، تجدهم في نوع من الضلال ونوع من الغي ، فيهم شرك وكبر .

لكن الرافضة أبلغ من غيرهم في ذلك ، ولهذا تجدهم من أعظم الطوائف تعطيلاً لبيوت الله ومساجده من الجمع والجماعات، التي هي أحب الاجتماعات إلى الله ، وهم أيضاً لا يجاهدون الكفار أعداء الدين ، بل كثيراً ما يوالونهم ويستعينون بهم على عداوة المسلمين ، فهم يعادون أولياء الله المؤمنين ، ويوالون أعداءه المشركين وأهل الكتاب . ٧/ ٢١٠ .

١٣٥- والعلماء دائماً يذكرون أن الذي ابتدع الرفض كان زنديقاً ملحداً ، مقصوده إفساد دين الإسلام . ولهذا صار الرفض مأوى الزنادقة الملحدين من الغالية والمعطلة ، كالنصيرية والإسماعيلية ونحوهم . ٢١٩/٧

١٣٦- وقد عرف أن أبا بكر اشترى سبعة من المعذّبين في الله في أول الإسلام ، وفعل ذلك ابتغاءً لوجه ربه الأعلى ، لم يفعل ذلك كما فعله أبو طالب ، الذي أعان النبي ﷺ لأجل نسبه وقرابته ، لا لأجل الله تعالى ولا تقرباً إليه . ٣٨٤/٧

١٣٧- والرافضة ليس لهم سعي إلا في هدم الإسلام ، ونقض عراه ، وإفساد قواعده . ٤١٥/٧

١٣٨- وليس في عاشوراء حديث صحيح غير الصوم . ٤٣٣/٧

١٣٩- وكذلك الأحاديث المروية في فضل رجب بخصوصه ، أو فضل صيامه ، أو صيام شيء منه ، أو فضل صلاة مخصوصة فيه كالرغائب ، كلها كذب مختلق . ٤٣٣/٧

١٤٠- وكذلك كل صلاة فيها الأمر بتقدير عدد الآيات أو السور أو التسبيح ، فهي كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث ، إلا صلاة التسبيح ، فان فيها قولين لهم ، **وأظهر القولين أنها كذب** . ٤٣٤/٧

١٤١- والناس قد رووا أحاديث مكذوبة في فضل أبي بكر وعمر وعثمان وعلى ومعاوية ﷺ وغيرهم ، لكن المكذوب في فضل علي أكثر ، لأن الشيعة أجرأ على الكذب من النواصب . ٤٤٢/٧

١٤٢- ولم يحفظ لأبي بكر فتيا تخالف نصاً . ٥٠٢/٧

١٤٣- قال رسول الله ﷺ (أقضاكم علي) والقضاء يستلزم العلم والدين) فهذا الحديث ، لم يثبت و ليس له إسناد تقوم به الحجة . ٧ / ٥١٢ .

١٤٤- وحديث (أنا مدينة العلم وعلي بابها) أضعف وأوهى ، ولهذا إنما يعد في الموضوعات ، وإن رواه الترمذي ، وذكره ابن الجوزي وبين أن سائر طرقه موضوعة ، والكذب يعرف من نفس متنه ، فإن النبي ﷺ إذا كان مدينة العلم ، ولم يكن لها إلا باب واحد ، ولم يُبلّغ عنه العلم إلا واحد ، فَسَدَ أمر الإسلام ، ولهذا اتفق المسلمون على أنه لا يجوز أن يكون المبلّغ عنه العلم واحداً ، بل يجب أن يكون المبلّغون أهل التواتر ، الذين يحصل العلم بخبرهم للغائب . ٥١٥/٧

١٤٥- وفي المسند عن علي ﷺ قال : (كان إذا اشتد البأس اتقينا برسول الله ﷺ فهو كان أقرب إلى العدو منا) .

والشجاعة تُفَسَّر بشيئين : **أحدهما** : قوة القلب وثباته عند المخاوف .

الثاني : شدة القتال بالبدن ، بأن يقتل كثيراً ، ويقتل قتلاً عظيماً .

والأول هو الشجاعة ، وأما الثاني فيدل على قوة البدن وعمله .

وليس كل من كان قوي البدن كان قوي القلب ، ولا بالعكس . ولهذا تجد الرجل الذي يقتل كثيراً ويقاتل إذا كان معه من يُؤَمِّنه ، إذا خاف أصابه الجبن ، وانخلع قلبه . وتجد الرجل الثابت القلب ، الذي لم يقتل بيديه كثيراً ثابتاً في المخاوف ، مقداماً على المكاره . وهذه الخصلة يُحتاج إليها في أمراء الحروب وقوّاده ومقدّميه أكثر من الأولى ؛ فإن المقدَّم إذا كان شجاع القلب ثابتاً ، أقدم وثبت ، ولم ينهزم ، فقاتل معه أعوانه ، وإذا كان جباناً ضعيف القلب ذلَّ ولم يقدم ولم يثبت ، ولو كان قوي البدن .

والنبي ﷺ كان أكمل الناس في هذه الشجاعة ، التي هي المقصودة في أئمة الحرب ، ولم يقتل بيده إلا أُبيّ بن خلف ، قتله يوم أحد ، ولم يقتل بيده أحداً لا قبلها ولا بعدها . ٧٧/٨ .

١٤٦- ومما ينبغي أن يعلم أن الشجاعة إنما فضيلتها في الدين لأجل الجهاد في سبيل الله ، وإلا فالشجاعة إذا لم يستعن بها صاحبها على الجهاد في سبيل الله ، كانت : إما وبالاً عليه ، إن استعان بها صاحبها على طاعة الشيطان ، وإما غير نافعة له ، إن استعملها فيما لا يقرّبه إلى الله تعالى . ٨ / ٨٦ .

١٤٧- وأيضاً فأبو بكر وعمر لم ينهزما قط ، وما ينقله بعض الكذابين من انهزامهما يوم حنين ، فهو من الكذب المفترى . ١١٨/٨

١٤٨- في الصحيحين عن أبي هريرة قال : (حفظت من رسول الله ﷺ جرابين : أما أحدهما فبثثته فيكم ، وأما الآخر فلو أبثُّه لقطعتم هذا البلعوم) فإن هذا حديث صحيح ، ليس فيه أن النبي ﷺ خص أبا هريرة بما في ذلك الجراب ، بل كان أبو هريرة أحفظ من غيره ، فحفظ ما لم يحفظه غيره .

وأبو هريرة أسلم عام خيبر ، فلم يصحب النبي ﷺ إلا أقل من أربع سنين ، وذلك الجراب لم يكن فيه شيء من علم الدين: علم الإيمان والأمر والنهي ، وإنما كان فيه الإخبار عن الأمور المستقبلة ، مثل الفتن التي جرت بين المسلمين: فتنة الجمل ، وصفّين ، وفتنة ابن الزبير ، ومقتل الحسين ، ونحو ذلك، ولهذا لم يكن أبو هريرة ممن دخل في الفتن .

ولهذا قال ابن عمر : لو حدّثكم أبو هريرة أنكم تقتلون خليفتكم ، وتفعلون كذا وكذا ، لقلتم : كذب أبو هريرة . ١٣٨-١٣٧/٨

١٤٩- ومن هذا الجنس ما يُروى أنه قاتل الجن في بئر ذات العلم ، وهو حديث موضوع عند أهل المعرفة ، وعلي أجل قدراً من أن تثبت الجن لقتاله ، ولم يقاتل أحد من الإنس الجن ، بل كان الجن المؤمنون يقاتلون الجن الكفار . ١٦٢/٨

١٥٠- وحديث رد الشمس له [أي لعلي] قد ذكره طائفة كالطحاوي والقاضي عياض وغيرهما ، وعدُّوا ذلك من معجزات النبي ﷺ . لكن المحققون من أهل العلم والمعرفة بالحديث يعلمون أن هذا الحديث كذب موضوع ، كما ذكره ابن الجوزي في كتاب الموضوعات . ١٦٥/٨

١٥١- ومما ينبغي أن يُعلم أن خوارق العادات تكون لأولياء الله بحسب حاجتهم ، فمن كان بين الكفّار أو المنافقين أو الفاسقين ، احتاج إليها لتقوية اليقين ، فظهرت عليه كظهور النور في الظلمة .

فلهذا يوجد بعضها لكثير من المفضولين ، أكثر مما يوجد للفاضلين ، لحاجتهم إلى ذلك .

وهذه الخوارق لا تراد لنفسها، بل لأنها وسيلة إلى طاعة الله ورسوله، فمن جعلها غايةً له ويعبد لأجلها، لعبت به الشياطين، وأظهرت له خوارق من جنس خوارق السحرة والكهان ، فمن كان لا يتوصل إلى ذلك إلا بها ، كان أحوج إليها ، فتكثر في حقه ، أعظم مما تكثر في حق من استغنى عنها ، ولهذا كانت في التابعين أكثر منها في الصحابة . ٢٠٤/٨-٢٠٥

١٥٢- كما أن كثيراً من طلبة العلم ليس مقصودهم به إلا تحصيل رياسة أو مال ، ولكل امرئٍ ما نوى ، وأما أهل العلم والدين الذين هم أهله ، فهو مقصود عندهم لمنفعته لهم ، وحاجتهم إليه في الدنيا والآخرة . ٢٠٩/٨

١٥٣- فإن ذا الشرف إذا ألزم نفسه التقوى ، كان تقواه أكمل من تقوى غيره ،كما أن المِلك إذا عدل ، كان عدله أعظم من عدل الرجل في أهله . ثم إن الرجل إذا قصد الخير قصداً جازماً ، وعمل منه ما يقدر عليه ، كان له أجر كامل ، كما قال النبي النبي ﷺ في الحديث الصحيح (إن بالمدينة رجالاً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم) قالوا : وهم في المدينة ؟ قال (وهم بالمدينة حبسهم العذر) . ٢١٧/٨

١٥٤- ولهذا لم يُثن الله على أحد في القرآن بنسبه أصلاً : لا على ولد نبيّ، ولا على أبي نبيّ، وإنما أثنى على الناس بإيمانهم وأعمالهم . وإذا ذكر صنفاً وأثنى عليهم ، فلما فيهم من الإيمان والعمل ، لا لمجرد النسب ، ولما ذكر الأنبياء - ذكرهم في الأنعام - وهم ثمانية عشر ، قال (ومن آبائهم وذرياتهم وإخواتهم وأجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم) فبهذا حصلت الفضيلة باجتبائه سبحانه وتعالى وهدايته إياهم إلى صراط مستقيم ، لا بنفس القرابة . ٨ / ٢١٨ .

١٥٥- والجهاد بالمال مقدم على الجهاد بالنفس ، كما في قوله تعالى (وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) وقوله (الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ) وقوله (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) .

وذلك لأن الناس يقاتلون دون أموالهم ، فإن المجاهد بالمال قد أخرج ماله حقيقة لله ، والمجاهد بنفسه لله يرجو النجاة ، لا يوافق أنه يقتل في الجهاد ، ولهذا أكثر القادرين على القتال يهون على أحدهم أن يُقَاتِل ، ولا يهون عليه إخراج ماله . ٢٣٠/٨

١٥٦- وفي الصحيح عن عائشة قالت : يا رسول الله ؛ أو معي شيطان ؟ قال (نعم) قالت : ومع كل إنسان ؟ قال (نعم) قالت: ومعك يا رسول الله ؟ قال : (نعم ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم) **والمراد في أصح القولين** : استسلم وانقاد لي . ومن قال: حتى أسْلَمَ أنا، فقد حرّف معناه . ومن قال: الشيطان صار مؤمناً ، فقد حرّف لفظه . ٢٧١/٨

١٥٧- واعلم أنه ليس في المهاجرين منافق ، وإنما كان النفاق في قبائل الأنصار ، لأن أحداً لم يهاجر إلا باختياره ، والكافر بمكة لم يكن يختار الهجرة ، ومفارقة وطنه وأهله لنصر عدوه ، وإنما يختارها الذين وصفهم الله تعالى بقوله : (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) .

وقوله : (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) ، وأبو بكر أفضل هؤلاء كلهم . ٨ / ٤٥٠ .

١٥٨- ولو انفرد الرجل في بعض الأمصار والأعصار بحق جاء به الرسول ، ولم تنصره الناس عليه ، فإن الله معه ، وله نصيب من قوله (إِلاّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) فإن نصر

الرسول هو نصر دينه الذي جاء به حيث كان ، ومتى كان . ومن وافقه فهو صاحبه عليه في المعنى ، فإذا قام به ذلك الصاحب كما أمر الله ، فإن الله مع ما جاء به الرسول ، ومع ذلك القائم به . ٤٨٨/٨

١٥٩- والذي عليه أكابر الصحابة والتابعين أن قتال الجمل وصفين لم يكن من القتال المأمور به، وأن تركه أفضل من الدخول فيه، بل عدُّوه قتال فتنة . ٨ / ٥٢٢ .

تمت بحمد الله
أخوكم
سليمان بن محمد اللهيميد
السعودية – رفحاء
١١ / ١ / ١٤٣٢هـ